

فُكَاهاَت

رَوَايَاتُ

— مادلين (١) —

كان في احدى قرى فرنسا فتاة تدعى مادلين من أسرة متوسطة الحال ولم يُرزَق ابواها سواها فاهتما بتعليمها وتهذيبها وكانا يحبانها محبة شديدة ويحرصان جهدهما على راحتها وسرورها فلا يرفضان لها ملتصقاً او يعارضانها في امر . فشبت على مهل الدلال والرفاهية دون ان يطرق اذنها يوماً كلمة توبيخ او وعيد بل كانت حيثما سارت لا تسمع الا الاطراء والمدح ولا سيما وان الطبيعة زينتها بابهي حلال الجمال وجعلت في عينيها نظرات هي السحر الحلال فما رآها احد الا أخذ بشرك محاسنها وتقيد بسلاسل هواها . ولم تبلغ سن العشرين حتى اصبحت فتنة للناظرين فاحاط بها شبان القرية احاطة الهالة بالقمر وكلهم يبتغي رضاها ويرتجي ودّها . اما هي فكانت طاهرة القلب اية النفس أميل الى الجفوة من اللين فلم تبال باحد منهم ولا تعادت تودّياتهم اذنيها اذ كانت تعتقد برفعة قدرها وسمو مكانتها بين هؤلاء الذين كانوا يجالونها اجلال المعبود ويستسلمون لاحكامها كالارقاء . ولم تكن مع ذلك لتزجرهم او تقصّصهم عنها بل كانت تتلذذ باستماع توسلاتهم وزفرات

(١) مترجمة عن الفرنسية بقلم السيدة ليبة هاشم

صدورهم وتبتذع لمراى دموعهم تنسكب على قدميها كملكة عاتية مستبدة
تسرّ باتلاف نفوس اسراها والتنكيل برعيتها

وحدث يوماً أن اتى تلك القرية واحد من قواد الفرنسيين يقال له
الكنت دي كولان قصد السياحة فرأى مادلين مع اتراب لها في بعض
المتنزّهات وهي تزهو بينهن كالقمر ومن حوله النجوم فراقه جمالها وشعر
بجاذب يدفعه الى محادثتها فاقرب الى الفتيات مستأذناً في السؤال عن
وجهة تلك الطريق فأجبنه بالفاظٍ تمازجها الرقة والسداجة وزدن على ذلك
ان سمحن له بمرافقتهن اذ كنّ سيمرن بالجهة التي يقصدها ولم يكن
اشهى لديه من هذه المنحة فسار قريباً من مادلين وهو يردد عبارات
الشكر بالفاظٍ صاغتها الرقة الباريزية وزانها الاحترام

فشعرت مادلين بانعطاف نحو الشاب الغريب ولا سيما بعد ان عرفها
باسمه ولقبه فكان للفضة كنت هزّة في فؤادها وتأثير في نفسها لم تقو
كبرياًؤها على مقاومتها فرفعت رأسها الجميل وقد تدلت منه غدائر شعرها
كاغصان الصفصاف اذ يلاقيها النسيم وارسلت اليه من سهام عينيها نظرة
اخترقت فؤاده وذهبت بلبه . ثم قالت والدلال يرنح معطفها هلا اقت
طويلاً في قرينتنا يا سيدي . فاجابها وآيات السرور بادية على محياها اني اعد
نفسي سعيداً يا سيدتي اذا ساعدتني الاحوال على اطالة المكث في هذا
الفردوس البهيج كما اني اشكر حسن الطالع الذي ساقني اليه فتمني بسعادة
هذه الدقائق القليلة التي لن انسها ما حييت . فشكرته ثم دعتة لزيارتها
اذ كانت قد انتهت حينئذ الى منزلها فوعدها بذلك في نهضة اخرى وودعها

وانصرف شاكرًا

وباتت مادلين تلك الليلة والآمال تناجيتها فتمثل لها انها ستصبح الكنتية دي كولان وتعيش في باريز عيشة السرف والرفخفة كباقي السيدات المثرىات فتركب العربات الفاخرة وتتباهى بلبس الحلى والحلل بما يظهر جمالها ويجعلها قبلة الشبان وموضوع التفاتهم

ولقد اصابها فيما توهمت اذ لم يمضِ العام الا وكانت قرينة الكنت لكنها ما عثمت ان تجتمع بفقدته واصبحت ارملة وهي لم تتجاوز الثانية والعشرين فالتزمت جانب الوحدة مدة عام قياماً بفروض الحداد ثم عادت الى ما كانت عليه من سابق معيشتها وماضي انسها فتألب من حولها الشبان وتكاثر لديها الدعوات والحفلات فكانت تؤانس الجميع على السواء غير انها خصت بالميل فتى يدعى الجنرال توماسي وتمكنت بينهما علائق الوداد فتعاهدا على الحب وعينا زفافهما بعد مضي شهرين من الزمن

وفي احد الايام دعت الكنتية خطيبها وواحداً من اصدقائها يقال له هنري وطبيبها الخاص لتناول العشاء في منزلها وكانت الكنتية في تلك الليلة طليقة الحياء باسمه الشجر وقد ارتدت ثوباً من الحرير اشبه بلون السماء وبرزت منه كتفها العاريتين تزينا اطراف شعرها الفاحم وهو معقوص على رأسها بهيئة بديعة الصنع يتخلل ثنياته ازهار من الذهب الخالص مرصعة بالحجارة الكريمة تتلألأ تحت انعكاس الانوار كقطرات الندى فوق بساط الربيع فاضيف الى جمالها بهاء ينجل البدر ويزري بازهار الزياض

وبينما كان الثلاثة حول المائدة وهم يتحدثون وجهه المسيو هنريه
خطابه الى الكنته فقال ان هذه آخر ليلة يمثل فيها البطل فرنندو الطلياني
العبه البديعه مع الاسود واني اعجب لعدم ذهابك اليها مع علمي برغبتك
الشديده في مشاهده هذه الالاب

فقلت اني لاسف جدا لكوني لم افكر في ذلك حتى الآن والالما
تأخرت عن المصير الى هناك لاني ارتاح جدا الى مشاهده هذه الالاب
الحماسيه ويسرني بالاكثير ان ارى انياب تلك الحيوانات الضاريه تمزق
جسد الممثل يوما فانه مشهد طبيعي لذيذ

فانقبض وجه خطيبها عند سماع هذه الكلمات ونظر اليها شزرا وهو
يقول وهل تسرين يا سيدتي بعذاب البشر الى حد ان تمنني للممثل المسكين
مثل هذه الميتة الشنيعه

فاجابته باسمه نحن نساء القرى قاسيات القلوب لا نتأثر للمشاهد
المحزنة غير اني لا اتمنى له الضرر بل انما قصدت بقولي اني اود ان لا
يفوتني مرأى مثل هذا الحادث اذا قدر فتمثل يوما

فقال الطيب مغيرا مجرى الحديث بالحقيقه ان المسيو فرنندو ممثل
بارع وقد نال من الشهرة في باريز ما لم ينله مصارع من قبله

فقلت الكنته وقد علمت انه يجيد كثيرا في العابه حين يراني حاضرا
فيظهر من اساليب الخفة والرشاقة والبسالة ما لا يفعله في وقت آخر
فاجابها الطيب لقد اصبت واني قد راقبت ذلك مرارا فثبتت
لدي حقيقته

فانطاق من صدر خطيبها تنهدٌ طويل وتململ في مكانه كمن لسعته
افعى ثم قال دون ان يصوب اليها بصره اذاً فهو مغرمٌ بكِ
قالت انه لم يقل لي ذلك

وحينئذٍ قطع الطبيب حديث الكنتة وقال وهو ينظر في ساعته لقد
بلغنا الساعة التاسعة والتمثيل يتبدى بعد نصف ساعة فسلموا بنا اذا شاءت
حضرة الكنتة

فقالت الكنتة انني مستعدة لذلك فهل تكون انت مرافقاً لنا
قال اذا سمحت لي بذلك فاني اكون من الشاكرين
وكان خطيبها جالساً كالتمثال فالتفتت اليه وقالت وانت ايها العزيز
ألا تصحبني ايضاً
فاجابها بفتور وقال لا

فنظرت اليه بدلالها المعهود وقالت وهي تكاد تسيل رقة وحلاوة
اني استحلفك ايها الحبيب بالايام الباقية لا اقترانا ان لا ترفض طلي فاني
اريد ان ترافقني ونتقاسم لذة هذه الليلة ثم ناولته يدها فتأبط ذراعها وسار
الى جانبها خاضعاً

ولم يمض نصف ساعة حتى كانت الكنتة واصحابها الثلاثة في ردهة
التمثيل وقد حدقت اليها الانظار وتطالت نحوها الاعناق وقل من تنبه لرفع
الستار حينئذٍ وظهور الاسود وهي تتمشى متبخثرة في ساحةٍ مستديرة وسط
الملعب يفصل بينها وبين الجالوس حاجزٌ خشبيٌّ متين . ثم اقبل المصارعون

وكلهم باللبسة فاخرة مزينة بالشريط ما بين احمر واخضر وفي يد كل منهم
حراة ملبسة بالانسجة الملونة للتحرش بالوحوش فجعلوا يدورون من حولها
وكما لاحت لهم فرصة وخزوها بالحراة حتى اذا ثار غيظها توارى المبارزون
ورآء الحاجز

وبعد حين ظهر البطل فرنندوفصفق الجمهور له ابتهاجا وترحيبا وكان
فرنندو شابا جميل الطلعة حسن البنية عليه سمات الشجاعة والبسالة يزيد
مهابة وزواة ما عليه من اللباس الثمين المزركش الذي كان يتلأأ نورا
كلما تمايل في جوانب الملعب . وكان من تأمل فيه يرى في عينيه ابتسامة
لطيفة تشف عن رقة عواطفه ولين عريكته واستسلامه لاحكام الجمال
وسلطان ربات الحجال فالخذ يجيل بصره بين الجموع كأنه ينشد ضالة له
ثم ما لبث ان لمعت عيناه وبرقت اسارير وجهه اذ لمح الكنتة تجاه الملعب
وهي جالسة تحديق اليه . فحمل من ساعته على احد الثيران حملة صرعه
فيها ثم اردفه بالآخر فدهش الحضور اشجاعته وعلت من بينهم اصوات
الاستحسان والتصفيق حتى اهتزت لها اركان الردهة وابتسمت الكنتة
في سرها اذ علمت بكونها هي مصدر تلك العجايب كما انه لم يفتها ما
اصاب الجنرال خطيبها من الانفعال اذ كانت حرارة انفاسه المتصاعدة تمر
على وجهها وصوت تنهداته يبلغ اذنيها وهي اشبه بفحيح الافاعي التي كانت
تنفث في فؤاده سم الغيرة . فلكي تطرد عنه الاوهام وتنفي منه الوساوس
مالت نحوه بحركة تشف عن فرط هيامها به واخذت يده بين كففيها
وضغطت عليها بوجد كأنها تقول له اطمئن بالآفاني لا اروم سواك خائلا

ولا ارضى عنك بديلاً

• • • • •

وهنا ارتفعت اصوات الجمع المحتشد وعلا بينهم الضوضاء وهب كل من مكانه يطلب الباب واعول الصغار وأغمي على أكثر السيدات وساد الخوف والجزع على قلوب الجميع . وقبل ان تنتبه الكنتة الى ما يجري انتصب الجنرال واقفاً ونزع يده من يدها بحدة وقبض على ذراعيها وادارها نحو القوم قائلاً انظري انظري ايها السيدة فهذا المنظر الذي تودين رؤيته . فالتفتت الكنتة واذا بفرنندو مطروح على الارض وقد صبغت الدماء ثيابه وفوقه اسد ينهش صدره وهو يحاول ان يدفعه عنه بما بقي فيه من القوة ولكن ما لبث ان هجمت عليه بقية الوحوش هجمة واحدة واحاطت به من كل جانب قصد ان تشارك رفيقها في لذة الانتصار والانتقام فحجب المسكين عن العيون ولم يكن يرى سوى قطرات دماؤه تسيل بين ارجل تلك الحيوانات الناقية عليه .

وسبب تلك الحادثة ان فرنندو كانت قد اسكرته لذة الظفر اولاً فاعاد الكرة على الاسود كالاول واخذ حربة ووخز بها احد الاسود وكان اشدها بأساً فدار الاسد دورتين وهو يزجر بحنق فاعاد فرنندو الوخزة لكي يثير غضبه ويحملة على مبارزته فلمعت عينا الاسد وارسل صوتاً مخيفاً ازعج الحضور ولكنه لم يتحرك من مكانه . فدار الممثل حوله ولطمه ثالثاً ورابعاً بقسوة اثارت صواعق غيظه فجعل يزجر كالرعود القاصفة وهجم عليه وهو يصيح ويزأر بما استكت له الآذان فابتعد عنه فرنندو مسافة

ليتهياً للنزال وكأنه رام في تلك اللحظة وهو في اشد المواقف خطراً ان يسترق من الكنتة نظرة يستمد بها قوة جديدة للكفاح فاتفق انها كانت حينئذ قابضة على يد خطيبها تنظر اليه بذلك الشغف والانعطاف واذ رأى منها ذلك ولم يكن له سابق معرفة بها ولا يعلم شيئاً من امرها وعلاقتها مع الآخرين وربما كان يظنها خالية فساء فأله وشعر بان يد الغيرة صدمته صدمة أصابت منه فؤاداً كان قد وقفه لعبادة تلك الفتاة فغاب رشده وارتخت اوصاله فكانت تلك افضل فرصة لغريمه الاسد الناقم فانشب فيه مخالبه دون شفقة ولا رحمة

واذ عاينت الكنتة ذلك صاحبت بخطيبها متوسلة اليه ان يسرع لنجدته فتركها وسار دون ان ينبس ببنت شفة وخرجت هي مستندة على ذراع طيبها وقد اخذ منها الارتعاش كل مأخذ فاوصلها الطيب الى العربة حيث جلست تنتظر رجوع الجنرال بالخبر اليقين . ولم يكن الا القليل حتى عاد وعلام اليأس والاسف بادية على وجهه المكفهر فصاحت الكنتة اذ رآته على تلك الحال اذن قد قتل وقضى الامر . فلم يجيبها بكلمة بل تقدم بسكون وصافح يدها مودعاً فدعته الى مرافقتها فلم يعرها اذناً صاغية بل اقبل باب العربة و اشار الى السائق بالمسير ثم ابتعد دون ان يلتفت الى توسلاتها . وسقطت الكنتة بعد ذلك مغشياً عليها لما نالها من الانفعال في تلك الليلة فاوصلها الطيب الى منزلها واعتنى بها الى ان سكن جأشها ثم انصرف بعد ان اشار عليها بلزوم الراحة والسكينة

واستيقظت الكنتة في اليوم الثاني عند الساعة العاشرة فاخذت تجيل

في ذاكرتها حوادث الليل الغابر ومقتل فرنندو ونفور حبيبها منها وتركه اياها على تلك الحال فائر فيها ذلك تأثيراً شديداً لكنها علمت النفس بزيارته قريباً ثم نهضت متشاقلة وقرعت الجرس فحضرت الخادمة فسألتها الكنتة ألم يحضر الجنرال توماسي هذا الصباح

قالت لا يا سيدتي ولم يأت سوى المسيو هنري وهو ينتظر ان تستيقظي ليستفهم عن صحتك

قالت فليتظرنني في غرفة الاستقبال وساوافيه في الحال

قالت الا تريد سيدتي ان تطالع ما جاءها به البريد اليوم
قالت لا بأس من مطالعة الرسائل واما الجرائد فابقها الى وقت آخر . فاعطتها ما طلبت ثم تركتها وخرجت

وكانت اول رسالة وقع نظر الكنتة عليها معنونة بخط خطيبها فتقضتها للحال وقرأت فاذا فيها ما يأتي

« الى حضرة الكنتة دي كولان

« في ساعة اطلاعك على اسطري هذه اكون قد ابتعدت عن باريز بحيث لا يرى احدنا الآخر فيما بعد فانا وانت نعلم ان قاتل فرنندو لم يكن قط الاسد وان دمه سيبقى كحاجز حصين بيننا يحول دون اقتراننا فاستودعك الله وداعاً لالقاء بعده »
اندري توماسي

